

الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم

الدكتور عبدالرحمن عبدالخالق حجر الغامدي

قسم، كلية التربية، جامعة الملك سعود

ملخص البحث

يهدف البحث إلى إبراز أهم الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم وإظهار بعض التوجيهات الصائبة في تنمية تلك الجوانب المكونة للشخصية. وقد تناولت هذه الدراسة أهم هذه الجوانب وكانت عبارة عن الجانب الإيماني، الجانب الروحي، الجانب العقلي، الجانب الأخلاقي، الجانب الاجتماعي، الجانب النفسي (الوجداني)، والجانب الصحي (الجسمي). وقد توصلت الدراسة إلى أن نمو أي جانب من هذه الجوانب لا يتم بشكل منفصل عن بقية الجوانب الأخرى، بل هو متداخل معها ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً، ويؤثر فيها ويتأثر بها، وأن أي جانب من هذه الجوانب مفطور عليه الإنسان ويُولد وهو مزود باستعداد أو نزعة تدفعه إلى تحقيق هذا الجانب وهذا الاستعداد ينمو شيئاً فشيئاً على طريق الهداية والصالح أو على طريق الضلالة والانحراف وذلك حسب ما يتلقاه الفرد من تربية وتوجيه خارجي.

وقد أثبتت الدراسة أن الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم وتنميتها تكسب أفراد الأمة الإسلامية سمة مميزة عن بقية أفراد الأمم الأخرى، ألا وهي سمة الإيمان والفضيلة كما أرادها الله عز وجل.

مقدمة

الحمد لله الذي جعل الشخصية المسلمة متميزة على غيرها، والصلاة والسلام على من كان وما زال أفضل مربٍ لإنهاء الشخصية الإنسانية على نحو متكامل متوازن، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

من الموضوعات التي اهتم بها الفكر التربوي عبر التاريخ هو موضوع الشخصية وبنائها، ويخطىء من يظن أن موضوع الشخصية من الموضوعات الحديثة في علم النفس، كما يخطىء من يظن أن الموضوع يخص علماء النفس وحدهم؛ فهو وثيق الصلة بغيره من

فروع العلم الأخرى، كعلم الاجتماع والتربية وغيرها من العلوم، كما أن الاهتمام بنواحي الشخصية ومشكلاتها يرجع تاريخه إلى زمن بعيد، فسقراط مثلاً (٤٦٩ - ٣٣٩ ق.م) كان يعتبر الوظيفة الأساسية للإنسان هي: «أن يعرف نفسه»^(١)، وأرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م) قدّم الكثير من الأفكار، وقال: «إن العقل يولد صفحة بيضاء خالية من كل نقش»^(٢).

وتوالى النظريات والفلسفات والمذاهب، فاعتبر البعض أن الشخصية تتحدد أساساً بالعوامل البيئية والاجتماعية والخبرات المختلفة، واعتبر الآخرون أن نظرية التطور «لدارون» (١٨٠٩ - ١٨٨٣ م)، «نقطة تحول ملحوظة في تفكير الإنسان وفي نظريته لطبيعته الخاصة»^(٣)، وراح «فرويد» يضع الجنس قاعدة الحياة الإنسانية، ويرى أنها السمة الأساسية التي تركز عليها الشخصية.

وقد ذهب العديد من مدارس علم النفس الغربية إلى تفسير طبيعة الإنسان تفسيراً جزئياً، وأخذت كل مدرسة تفسر الطبيعة الإنسانية بالجزء الذي تهتدي إليه^(٤). فقد راحت المدرسة السلوكية تفسر الإنسان على أنه مجموعة من العادات، وردود الفعل الشرطية المنعكسة، وراحت المدرسة الميكانيكية تشبه الحياة كلها - بما فيها الحياة الإنسانية - بالجهاز الآلي، كما راحت المدرسة التجريبية تضع النفس البشرية في المعمل مع أن الطريقة التجريبية لا تستطيع أن تتناول من طبيعة الإنسان إلا جانبها الجسدي، والفيولوجي والمظاهر السلوكية.

ولم يقف خطأ النظرية الجزئية عند إعطائها صورة غير كاملة للطبيعة الإنسانية، «بل تضع كذلك فرصة الاستفادة من الحقائق الجزئية في مكانها الصحيح، ويزيد الخطأ حين تنشأ على أساس هذه النظرة الجزئية نظريات في الاقتصاد والاجتماع، والأخلاق والسلوك، والجريمة والعقاب... وينتهي الأمر - كما قال «الكسيس كاريل» - إلى تدمير الإنسان بسبب جهلنا المطبق بحقيقة الإنسان»^(٥).

(١) سيد محمد غنيم. سيكولوجية الشخصية. مصر، دار النهضة العربية، ١٩٧٨ م، ص ٦.

(٢) سيد محمد غنيم. المصدر السابق. ص ٧.

(٣) سيد محمد غنيم. المصدر السابق. ص ١٢.

(٤) محمد قطب. دراسات في النفس الإنسانية. بيروت، دار الشروق، ط ٥، ١٤٠١ هـ، ص ٢٠-٢٢.

(٥) محمد قطب. المصدر السابق. ص ٢٣.

وإذا كان مبحث الطبيعة الإنسانية ومكوناتها مبحثاً مهماً تناولته معظم المذاهب والفلسفات، فإن تعاليم الإسلام الخالدة قد بينت بوضوح بعضاً من خصائص الإنسان ومميزاته ومكونات شخصيته، ودعت إلى النظر والتأمل والبحث في خصائص هذا الإنسان العجيب، قال تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾^(٦).

وقد استطاع الإسلام نفسه أن يحدث تغييراً شاملاً في شخصية الفرد العربي، فقد حوَّله من الوثنية والكفر وعبادة الأصنام ووَأد البنات والنهب والعصبية القبلية إلى التوحيد والإيمان وعبادة الله والأمانة والتسامح. الأمر الذي جعل التاريخ يسجل لتلك الشخصيات الفذة في القرون الأولى في عصر الإسلام درجة عظيمة من المكانة والرفعة، وهذا لم يكن لولا نجاح التربية الإسلامية في تنمية جوانب تلك الشخصيات الرائعة.

فكان ظهور الإسلام نقطة تحول حقيقي، وليس كما تدعيه نظرية «دارون»، وأصبحت السمة العامة التي تركز عليها شخصية الفرد المسلم الإيمان لا الجنس كما تدعيه نظرية «فرويد».

وما هذا البحث المتواضع إلا مناقشة جزء يسير من تلك التعاليم الإسلامية التي قد تسهم إن شاء الله في إبراز الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم.

مشكلة البحث

من الأمور التي تقوم عليها عملية التربية والتعليم هو تحديد الجوانب المكونة لشخصية الإنسان ووضوحها، ولما كان الإنسان الذي نبحث عن شخصيته هو الإنسان المسلم، فإن الحديث عن الجوانب المكونة لشخصية الإنسان ستكون من وجهة نظره إسلامية، وفي ضوء ذلك تأتي هذه الدراسة لتوضيح تلك الجوانب.

وتتلخص مشكلة الدراسة في السعي الجاد لتحديد أهم الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم.

أهداف البحث

- ١ - إبراز أهم الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم.
- ٢ - إبراز بعض التوجيهات الصائبة في تنمية تلك الجوانب المكونة للشخصية.

(٦) سورة الذاريات، الآية: ٢١.

أهمية البحث

١ - إن معرفة الجوانب المكونة لشخصية الإنسان أمر مهم وضروري لأن الإنسان ركن أساسي في عملية التربية والتعليم، وعلى ضوءها تتحدد مفاهيم التربية وأهدافها ووسائلها وطرقها.

٢ - إن تحديد الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم تفتح أبواب البحث والدراسة أمام الدارس بغية دراسة كل جانب على حدة، وتحليله وتقويمه وتدعيمه بالأدلة العقلية والنقلية الإسلامية، وتساعد الدارس في التنظير والمقارنة بين تلك الجوانب وبين الجوانب المكونة للشخصية لدى الفلاسفات الأخرى، لأن هذا الموضوع أصبح يؤلف فيه العديد من المؤلفات ولكنها من منظور غير إسلامي.

٣ - إن معرفة الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم وتنميتها تعطي صورة مشرقة للإسلام، فكم من شخصيات محسوبة على الإسلام أساءت إلى الإسلام وذلك لما يصدر منها من سلوك يتنافى مع تربيتنا الإسلامية فيحكم الجاهل بالإسلام بأن هذا هو الإسلام.

٤ - إن معرفة الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم وتنميتها تكسب أفراد الأمة الإسلامية سمة مميزة عن بقية سمات أفراد الأمم الأخرى، ألا وهي سمة الإيمان والفضيلة لتبقى أمة متميزة كما أراد لها الله تعالى في قوله: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾^(٧).

حدود البحث

اقتصرت هذه الدراسة على تحديد أهم الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم، وقد أورد الباحث الشواهد الإسلامية في القرآن الكريم والسنة المطهرة في كل جانب تناولته هذه الدراسة، كما أورد في نهاية كل جانب بعض التوجيهات الصائبة في تنميته، حسبما يسمح به حجم البحث دون التوسع في شرح تلك المجالات لأن ذلك يحتاج إلى دراسات لاحقة تستغرق فترة طويلة، ولا يتسع لها مثل هذا البحث الموجز.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

مصادر البحث

عمد الباحث في جمع المعلومات المتعلقة ببحثه إلى المصادر العامة الأساسية وهي القرآن الكريم والسنة المطهرة، ثم إلى المصادر التخصصية وهي كتابات في العلوم الإنسانية وخاصة كتب التربية الإسلامية.

منهج البحث

اعتمد الباحث على المنهج التحليلي القائم على جمع المعلومات ثم تصنيفها وتنظيمها وتحليلها، وقد رأى الباحث أن هذا المنهج لا يكفي وحده في هذا البحث، وقد أكد أحد الباحثين المختصين في مجال مناهج البحث: «أن جمع الحقائق وحده لا يكفي، فبدون الاستنباط تكون معظم معالجتنا للحقائق غير مثمرة»^(٨)، ولهذا فقد استخدم الباحث المنهج الاستنباطي واستنبط آراءً وأحكاماً تربوية من النصوص الشرعية حسب القواعد والضوابط ودلالات النصوص المتعارف عليها لدى علماء المسلمين، والمنهج الاستنباطي لا يقل استخداماً عن المنهج السابق في الدراسات الإنسانية، يقول أحد الباحثين: «لقد تغلغل المنهج الاستنباطي في كل دوائر العلم والمعرفة الإنسانية»^(٩).

وقد تناولت الدراسة الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم من خلال مناقشة أبعادها السبعة الآتية:

أولاً: الجانب الإيماني

ثانياً: الجانب الروحي

ثالثاً: الجانب العقلي

رابعاً: الجانب الأخلاقي

خامساً: الجانب الاجتماعي

سادساً: الجانب النفسي (الوجداني)

سابعاً: الجانب الصحي (الجسمي)

(٨) ديول بولد ب فان دالين. مناهج البحث في التربية وعلم النفس. (ترجمة محمد نوفل)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٧م، ص ٣١.

(٩) محمد الدسوقي. منهج البحث في العلوم الإسلامية. دار الأوزاعي، ١٤٠٤هـ، ص ١٠٤.

مصطلحات البحث

الشخصية

المعنى اللغوي للشخصية مشتق من فعل شَخَّص، فنقول شَخَّص الشيء: أي عينه، وميَّزه عما سواه^(١٠).

أما المعنى الاصطلاحي، فهو من الألفاظ الدارجة على لسان معظم الناس وفي الكتب والمجلات والصحف اليومية، فيقال مثلاً شخصية قوية، أو شخصية ضعيفة... الخ، ولكن تحديد لفظ شخصية تحديداً علمياً دقيقاً ليس بالأمر اليسير، فله تعريفات متعددة ومختلفة، فقد أورد أحد الباحثين «ما يقرب من خمسين تعريفاً أو معنى مختلفاً للشخصية، وبعض هذه المعاني لاهوتي، وبعضها فلسفي، وبعضها اجتماعي، وبعضها سيكولوجي»^(١١).

وفيما يلي يشير الباحث إلى بعض هذه التعريفات:

١ - «يقصد بالشخصية ذلك النظام الكامل من النزعات الثابتة نسبياً: الجسمية والنفسية التي تميَّز فرداً معيناً، والتي تقرر الأساليب المميزة لتكيفه مع بيئته المادية والاجتماعية»^(١٢).

٢ - «إنها التنظيم الفريد للأفكار والمعتقدات والاتجاهات والقيم والعادات التي نظمها الفرد في شكل أدوار ومراكز يستغلها في تفاعله مع الغير ومع نفسه»^(١٣).

٣ - «إنها مجموعة الصفات الجسمية والعقلية والخلقية التي يتصف بها الإنسان»^(١٤).
والباحث يرجح التعريف الأخير ويعتبره تعريفاً مناسباً للشخصية المسلمة، لأن اتجاه هذه الدراسة يتفق مع مضمون هذا التعريف إلا أن هناك بعض الصفات يجب أن تضاف

(١٠) جارا الله الزمخشري. أساس البلاغة. بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٥هـ، ص ٣٢٣.

(١١) سيد محمد غنيم. سيكولوجية الشخصية. مصدر سابق، ص ٤٢.

(١٢) أحمد زكي صالح. علم النفس التربوي. ط ٩، مصر، ١٩٦٦م، ص ٤٧.

(١٣) سعد جلال. المرجع في علم النفس. الاسكندرية، دار المعارف بمصر، ١٩٧١م، ص ٥١٣-٥١٤.

(١٤) سعد جلال. المرجع في علم النفس. الاسكندرية، دار المعارف بمصر، ١٩٧١م، ص ٥١٣-٥١٤.

للتعريف ليصبح التعريف على النحو الآتي: «إنها مجموعة الصفات الإيمانية والروحية والأخلاقية والاجتماعية والعقلية والوجدانية والجسمية التي يتصف بها الإنسان».

الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم

جاء الإسلام مبيناً أن الإنسان كل متكامل لا انفصال بين مكوناته، فهو من المنظور الإسلامي ليس جسماً فقط ولا عقلاً فقط ولا روحاً فقط، وهذا ما توصل إليه بعض علماء التربية المعاصرين في عدم اعترافهم بالفصل التقليدي بين الجسم والعقل والروح، فهم ينظرون إلى «طبيعة الإنسان على أنها وحدة متكاملة لا فصل بين جوانبها الجسمية والعقلية والروحية»^(١٥).

وقد وازن الإسلام بين حاجات الإنسان المادية والروحية والاجتماعية وسعت التربية الإسلامية إلى تكامل الشخصية المسلمة في كافة أبعادها وجوانبها الروحية منها والاجتماعية والبدنية، كما سعت إلى ترابط نمو هذه الجوانب وتناسقها بحيث لا يطغى منها جانب على آخر. وهذا ما نهجه مربي هذه الأمة محمد، ﷺ، في تربية أصحابه، كما رواه أنس بن مالك، رضي الله عنه، حيث قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي يسألون عن عبادة النبي، فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله، ﷺ، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(١٦). والنظرة إلى الشخصية الإنسانية بهذا الشكل المترابط الأجزاء لها آثارها الإيجابية على العملية التربوية في الإسلام، لأنها تعطي كل جانب ما يحتاجه من التربية، وعندما يعبر الإسلام عن بعض هذه الجوانب يوحي إلى السامع بأن هذا هو الأهم حتى إذا ما انتقل الحديث إلى الجانب الآخر، شعر

(١٥) عمر الشيباني. تطوير النظريات والأفكار التربوية. ط ٢، ليبيا، الدار العربية للكتاب، ١٣٩٧هـ، ص ٣٤٠.

(١٦) البخاري. صحيح البخاري. تركيا، استنبول، المكتبة الإسلامية، ١٩٨١م، كتاب النكاح، ج ٦، ص ١١٦.

السامع بأن هذا الجانب هو الأهم من سابقه، وكما قال محمد قطب: «نعم توجد لحظات كأنها لحظة جسد خالصة أو لحظة عقل خالصة أو لحظة روح»^(١٧). وفي إطار هذه النظرة الشاملة للشخصية الإنسانية، وفي ضوء الأفكار الإسلامية تناول الباحث الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم من إيمان وروح وعقل وأخلاق واجتماع ووجدان وجسم كل على حدة تيسيراً لدراسة كل جانب، وحتى يتضح مفهوم كل جانب من جوانب مكونات الشخصية وأهميته وتحقيق نموه، وهي كالآتي:

أولاً: الجانب الإيماني

١ - مفهوم الجانب الإيماني

معنى الإيمان في اللغة هو التصديق، يقال: آمن بالشيء: أي صدق به، وضده التكذيب، وآمن به صدّقه. والإيمان: الثقة وقبول الشريعة^(١٨). أما الإيمان في الاصطلاح فله عدة معانٍ، كما في قوله تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين﴾^(١٩)، وقد ذكر جمهور المفسرين أن أبا ذرٍ عندما سأل رسول الله، ﷺ، «ما الإيمان؟ تلا عليه: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم...﴾ إلى آخر الآية»^(٢٠)، وقد أوضح رسول الله، ﷺ، معنى الإيمان في حديثه الذي قال فيه: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وبلقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث»^(٢١). ومفهوم الإيمان عند السلف: «هو اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان وعمل بالأركان»^(٢٢).

(١٧) محمد قطب. منهج التربية الإسلامية. ط ٤، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٠هـ، ج ١، ص ٢١.

(١٨) انظر (أ) محمد الرازي. مختار الصحاح. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٩هـ، ص ٣٨. (ب) الطاهر الزاوي. مختار القاموس. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٣هـ، ص ٣٠.

(١٩) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٢٠) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٢هـ، ج ١، ص ٢٠٧.

(٢١) البخاري. صحيح البخاري. مصدر سابق، كتاب الإيمان، ج ١، ص ١٨.

(٢٢) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري. بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، د. ت.، ج ١، ص ٤٦.

وقد أودع الله في الطبيعة الإنسانية نزعة التدين، فالإنسان مفطور على التساؤلات عن الخالق والموت والبعث، وعن العالم وعن سر وجوده وعن الغاية من حياة الإنسان، وعن الغاية التي ستنتهي إليها حياته، وقد ورد في عدد من الأبحاث ما يدل على أن النفس الإنسانية مفطورة على التدين والخضوع إلى الذات الإلهية، والتسليم لها بالعلم والقدرة والكمال، يقول أحد الباحثين: «إن الدين قانون ثابت في أعماق نفوسنا مستمد استمداداً حقيقياً من هو مصدر جميع القوانين وهو الذي يحكم بيننا ويسيطر علينا»^(٢٣).

وهناك شواهد من النصوص الدينية على وجود دافع التدين عند الإنسان منها قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾^(٢٤). وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾^(٢٥).

وقد سئل ابن تيمية عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة» فأجاب بقوله: «إنها فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهي فطرة الإسلام، وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾. وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة، والقبول للعقائد الصحيحة»^(٢٦). وقد يسأل سائل ويقول: إذا كان المولود يولد على فطرة الإسلام فلماذا ينحرف البعض عن الإسلام في كبره؟ والإجابة عن ذلك ما أورده ابن تيمية في موطن آخر، وقال: «ولا يلزم من كونهم مولودين على الفطرة أن يكونوا حين الولادة معتقدين للإسلام بالفعل، فإن الله أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئاً، ولكن سلامة القلب وقبوله وإرادته للحق: الذي هو الإسلام»^(٢٧).

(٢٣) كانت. كتاب التربية. (ترجمة طنطاوي جوهري)، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٥٥هـ، ص ٨٤-٨٥.

(٢٤) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٢٥) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٢٦) ابن تيمية. مجموع فتاوى ابن تيمية. إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين، د. ت.، كتاب مفصل الاعتقاد، ج ٤، ص ٢٤٥.

(٢٧) ابن تيمية. المصدر السابق. ص ٢٤٧.

فالإيمان بدين معين ليس مغروراً في الطبيعة الإنسانية، ولو كان كذلك لما أمكن تحويله إلى أديان، أو تبديله بدين آخر، والرسول، ﷺ، بين أن أبويه يجعلانه يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً.

ومعنى فطرية التدين هو وجود استعداد وقابلية وميل إلى البحث عن الخالق، وهذا يعبر عن حاجة أساسية من حاجات الإنسان لا تتم سعادته بدون تحقيقها، كما أنه لا ينمو بمفرده دون مساعدة وتوجيه خارجي، فهو بحاجة إلى توجيه وتنمية وحماية دينية.

٢ - أهمية الجانب الإيماني في بناء الشخصية

يعد الجانب الإيماني من أهم الجوانب في تكوين شخصية المسلم وتشكيلها، لما للإيمان من أثر واضح على النمو النفسي والأخلاقي والاجتماعي والعقلي والانفعالي والصحي. فالعقيدة الصحيحة أساس الفكرة المستقيمة والرأي السديد والخلق الفاضلة، وهي تسيطر على أقوال الإنسان وأفعاله، يقول أحد الباحثين: «وكلما زاد تمكنها - أي العقيدة - من القلب قوي أثرها، وازداد المرء اندفاعاً بها حتى تصبح مثلاً أعلى لصاحبها فتحمله على اقتحام الأخطار، وتخطي العقبات، فكل عمل مرتبط بعقيدة، يقوى بقوتها، ويضعف بضعفها. ولذلك نجد من يعملون أعمالهم بناء على عقيدة راسخة، يعملون جادين حريصين على إتمام ما يعملون، والذين يكلفون عملاً على خلاف ما يعتقدون، أو تضطربهم الظروف إلى عمله، يعتريهم الوهن والضعف ويتلمسون الفرص للفرار من القيام به» (٢٨).

وقد بين القرآن الكريم في أكثر من موطن أن عقيدة التوحيد توحد نوازع الإنسان وطاقاته النفسية، ونجد ذلك جلياً في هذا المثال القرآني الرائع، قال تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ (٢٩).

وقد ربط القرآن الكريم الجانب الإيماني ببقية جوانب مكونات الشخصية والشواهد على ذلك كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر، ربط الجانب الإيماني بالجانب العقلي، كما

(٢٨) د. محمد أمين المصري. لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها. ط ٤، القاهرة، دار الفكر، ١٣٩٨هـ، ص ٩١.

(٢٩) سورة الزمر، الآية: ٢٩.

في قوله تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾ (٣٠)، ومنها ربطه بالجانب الروحي، كما في قوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ (٣١)، وكذلك بالجانب الأخلاقي، قال تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم﴾ (٣٢)، والجانب الاجتماعي، قال تعالى: ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدعُ اليتيم﴾ (٣٣)، والجانب الانفعالي، قال تعالى: ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ (٣٤). والحقيقة أن الجانب الإيماني من أهم صفات الشخصية المؤمنة، لأنه يعد من الكرامة الخاصة التي كرم الله بها الإنسان المؤمن وفضله على غيره، لأن هناك كرامتين، كرامة عامة لجميع ذرية بني آدم، قال تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ (٣٥)، وكرامة خاصة لعباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (٣٦)، وهذا الجانب - أي الجانب الإيماني - من أشرف وأفضل ما يمتدح به الفرد، وقد امتدح الحق سبحانه الفتية الذين قال فيهم: ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم﴾ (٣٧).

٣ - تحقيق نمو الجانب الإيماني

يُعد تكوين الجانب الإيماني من أولى الجوانب في تكوين الشخصية المؤمنة، بل يُعد المرتكز الأساسي في تكوين جوانب الشخصية كافة، لأن رسول الله، ﷺ، أول ما بدأ في تكوين شخصيات أصحابه بالجانب الإيماني، فبدأ بغرس العقيدة الإسلامية ثم هاجم ما

(٣٠) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

(٣١) سورة المؤمنون، الآيتان: ١، ٢.

(٣٢) سورة النور، الآية: ٣٠.

(٣٣) سورة الماعون، الآيتان: ١، ٢.

(٣٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

(٣٥) سورة الإسراء، الآية: ٧١.

(٣٦) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٣٧) سورة الكهف، الآية: ١٣.

يقابلها من العقائد الباطلة لإزالتها من القلوب، لأن العقيدتين المتناقضتين لا تعيشان في قلب واحد، وإذا بقيتا حدث صراع مرير، وهذا ما نلمحه في معظم الآيات التي نزلت في أول نبوته بمكة المكرمة، منها قوله تعالى: ﴿قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ (٣٨).

كما أن سيدنا لقمان عليه السلام أول ما بدأ في تكوين شخصية ابنه بدأ بغرس العقيدة وتنمية الاستعدادات الدينية، قال تعالى: ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ (٣٩)، ويتم تحقيق إيمان صحيح راسخ في نفس الفرد، وذلك بتزويده بالمعارف والأفكار الصحيحة عن العقيدة، لأن المعرفة بالشيء مطلب أساسي لجميع المعتقدات والأعمال والمناشط لمزاوتها والاعتقاد عليها، وقد قال أحد الباحثين: «العلم هو مفتاح الوصول إلى الله عز وجل» (٤٠)، فالفرد بقدر معرفته بالله يزداد خضوعاً لأحكامه، وتطبيقاً لها والتزاماً بها، وصدق الله حين يقول: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (٤١)، والإيمان إذا لم يقم على علم ومعرفة صحيحين فهو إيمان ناقص، بل إن ذلك قد يؤدي بصاحبه إلى التقليد الأعمى دون وعي، وهذا ما لا يقره الإسلام، وقد أنكر القرآن الكريم في أكثر من موطن على الذين بنوا إيمانهم على التقليد الأعمى، ولم يبنوه على العلم الصحيح، والعقل السليم، كما في قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آبائهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾ (٤٢). والعلوم التي تسهم في تنمية العقيدة عند الفرد لا تقتصر على العلوم الشرعية وحدها فحسب، بل ينبغي أن تشمل العلوم الأخرى كافة، فعلم الأحياء مثلاً، أو علم النبات، أو علم التشريح، أو علم الفلك، أو علم التاريخ، أو غيرها من العلوم تسهم في تنمية عقيدة الفرد إذا صاحبها دراسة خلق الله، وآثار قدرته.

(٣٨) سورة الأنبياء، الآيتان: ٦٦، ٦٧.

(٣٩) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٤٠) سعيد حوى. تربيته الروحية. بيروت، دار الكتب العربية، ١٣٩٩هـ، ص ٨٢.

(٤١) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٤٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.

كما ينبغي استخدام الأدلة في دعم عقيدة الفرد، فقد عرض القرآن الكريم عقائد الإسلام عن طريق الحجة والبرهان، وهذه خير وسيلة في دعم عقيدة الإيمان وغرسها في نفس الفرد، فكل ما يحيط بالإنسان مليء بالشواهد الحية الماثلة أمام العين على دلائل القدرة الإلهية، يقول أحد الباحثين: «إن عجائب الكون لا تسمح بالإيمان فحسب، بل تدعو الناس إلى هذا الإيمان»^(٤٣). وهذا ما دعا إليه الحق سبحانه الناس إلى التأمل في آياته في الكون، وفي الطبيعة في أكثر من آية منها قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خَلَقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رَفَعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نَصَبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سَطَحَتْ﴾^(٤٤).

كما ينبغي تكوين مناخ اعتقادي تربوي، فالبيئة الاجتماعية لها أثرها الفعال في تنمية إيمان الفرد أو إضعافه، يقول أحد الباحثين في هذا الصدد: «ولا يعيش الاعتقاد ولا ينمو إلا إذا هيا له المجتمع أسباب الحياة والنمو، وما أكثر الاعتقادات التي ذبلت أوراقها لإعراض المجتمع عنها وعدم إحيائه لها»^(٤٥). والقرآن الكريم يؤكد ذلك في أكثر من موطن، فما جاء رسول لقومه يدعوهم إلى توحيد الله وعدم الإشراك في عبادته إلا عارضوه بأن ما يدعوهم إليه يخالف ما كان عليه الآباء والأجداد، فقوم هود يقولون: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾^(٤٦).

كما أن للعبادات أثرها الواضح في تنمية إيمان الفرد، فالمظاهر الدينية وتكرارها في أوقاتها، والعمل بما توحى به العقيدة من أكبر العوامل في تعزيز العقيدة وبقائها، قال تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾^(٤٧).

ومن العوامل التي تسهم في تنمية الاعتقاد عند الفرد أيضاً، تكوين الرغبة في الاعتقاد، وهي لا تقل أهمية عن الأدلة النظرية في ترسيخ ذلك الجانب، بل إن الأدلة وحدها لم تكن كافية في جعل الفرد يعتقد ما لم يكن لديه رغبة في الاعتقاد، حتى ولو

(٤٣) مجموعة من العلماء. الله يتجلى في عصر العلم. (ترجمة الدمرداش سرحان)، ط ٢، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦١م، ص ٦٠.

(٤٤) سورة الغاشية، الآيات: ١٧ - ٢٠.

(٤٥) محمد أمين المصري. لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها. المصدر السابق، ص ١١٠.

(٤٦) سورة الأعراف، الآية: ٧٠.

(٤٧) سورة إبراهيم، الآية: ٣١.

استخدم معه أدلة عقلية خارقة، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا﴾^(٤٨). ومن العوامل التي تسهم في تنمية الاعتقاد عند الفرد إبراز محاسن العقيدة الإسلامية وخصائصها، ومقارنتها بالأديان الأخرى، وصد الأسباب التي تؤثر في عقائده، وتكوين استعداد للدفاع عن عقيدته وما يثار حولها من شبهات.

ثانياً: الجانب الروحي

١ - مفهوم الجانب الروحي

الروح من الأمور التي تعتقد بها معظم الأمم والشعوب، حيث إن علم اللغة «أثبت أنه لم تخل لغة من لفظ يدل عليها، فالإنسان من مبدأ أمره يميز بين المادة والروح»^(٤٩)، ولعل أول تفكير منظم معروف في مسألة الروح كان تفكير الفراعنة، فقد كان المصريون من أعرق الأمم التي آمنّت بالروح ثم آمنّت بالبعث والشواب والعقاب بعد الموت، ورمزوا للروح بـ«بكا» تارة بزهرة، وتارة بصورة طائر، وتارة بتمساح أو ثعبان، وقالوا إن الروح تتشكل بجميع الأشكال، وقد أدى إيمان الفراعنة بالروح إلى حفظ أجساد موتاهم»^(٥٠). أما الهند فقد آمنوا بتناسخ الأرواح، وفي الصين قديماً شاعت عبارة الأرواح لدرجة أن أغلى قربان في نظرهم هو القربان الذي يقدم للروح، وكذلك الشأن عند اليابان. كما أسهم علماء اليونان وفلاسفتهم الأقدمون في البحث عن الروح ويجمعون على أن الروح عنصر لطيف يختلف عن البدن، ولا تفنى وهي تعود إلى عالمها العلوي عند مفارقتها الجسد»^(٥١).

(٤٨) سورة الأنعام، الآية: ١١١.

(٤٩) عبدالكريم الخطيب. قضية الألوهية بين الفلسفة والدين. ط ٣، بيروت، دار المعارف للطباعة

والنشر، ١٣٩٥هـ، ص ١٢٥.

(٥٠) عباس محمود العقاد. كتاب في نشأة العقيدة. ط ٣، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٠م،

ص ٦٥.

(٥١) عبدالكريم الخطيب. المصدر السابق. ص ١٣٣.

كما شاعت أساطير مختلفة بين قبائل أفريقيا عن الروح تناولتها بعض الكتب بالشرح والإيضاح^(٥٢).

وظلت مسألة الروح تشغل بال المفكرين الغربيين ليقفوا على ماهية الروح وطبيعتها ومفهومها، ومن بين هؤلاء الفيلسوف «جورج باركلي»، وهو من دعاة الفلسفة الروحية الذاتية، الذي يرى: «أن حقائق الأشياء روحية ولا توجد حقيقة مادية، وما هذه الأشياء المحسوسة إلا مظاهر خداعة لا حقيقة لها إزاء الحقائق الروحية أو العقلية»^(٥٣)، والفيلسوف الألماني «لبيتنز» وهو من مناصري الفلسفة الروحية الشاملة، يرى: «أن عالم الطبيعة مكون أساساً من الذرات الروحية، أو بمعنى آخر فهو يرى أن الذرات التي يتكون منها عالم الطبيعة ذرات روحية شفافه مائعة»^(٥٤).

وكذلك الحال عند علماء المسلمين في تفسير وتوضيح الروح، فقد عرفها الإمام مالك بأنها: «صورة نورانية على شاكلة الجسم تماماً»^(٥٥)، وعرفها ابن القيم بأنها: «جسم مخالف في الماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء»^(٥٦).

ويعرفها مقداد يالجن بأنها: «جوهر بسيط لطيف حي بذاته يختلف عن ماهية الجسم لأنها من العالم الإلهي متخلق على صورة الجسم الإنساني مرتبط بالجسم كله ارتباطاً وثيقاً ويسري فيه سريان النور في الزجاجية، وهي التي تدير الجسم وتضفي عليه صفاته الذاتية من الإدراك والتعقل والشعور بالتسامي والمسؤولية الوجدانية والإحساسات الأدبية الجمالية»^(٥٧).

أما الروح في القرآن الكريم فقد وردت في أكثر من موطن، واستخدمت لعدة معانٍ،

(٥٢) انظر هوبيرديشان. الديانات في أفريقيا السوداء. (ترجمة أحمد صادق)، القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٩٥٦م.

(٥٣) مقداد يالجن. فلسفة الحياة الروحية. بيروت، دار الشروق، ١٤٠٥هـ، ص ١٣.

(٥٤) مقداد يالجن. فلسفة الحياة الروحية. المصدر السابق، ص ١٣.

(٥٥) مقداد يالجن. المصدر السابق. ص ٣٦، نقلاً من كتاب البيومي. الروح وماهيتها. ص ٦٦.

(٥٦) ابن القيم. الروح. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٩هـ، ص ١٧٨.

(٥٧) مقداد يالجن. مصدر سابق. ص ٣٧.

وقد تناولها أحد الباحثين بالشرح والإيضاح^(٥٨).

من هذا السياق الموجز عن الروح يتضح تشعب الآراء والأفكار وتعدد الفروض وتباينها في تفسير الروح، لتظل الروح حتى الآن سرّاً من أسرار الخالق ومعجزة في اكتشاف كنهها، حيث يرى العقاد: «أن معجزات القرآن أنه وضعها هذا الموضع الصحيح من الفلسفة والعلم وجعلها أعضل العضلات التي يتساءل عنها الإنسان»^(٥٩).

وعلى الرغم من أن الروح شيء مبهم في حقيقتها، ولكنها معروفة بكثير من صفاتها، والسلوكيات التي تدفع إليها، فهي موجودة في الواقع، وكل إنسان في الوجود يدرك أثر الروح في جسمه، وهي حقيقة يقرها الدين والعقل والعلم. فمفهوم الروح في نظر الباحث، إنها شيء مخلوق منفصل بذاته، لا ندركها بالنظر، ولا نراها بالعين ولكن ندرك أثرها على الجسم، فهي تمنح الجسم الحركة والحياة، وإذا فارقت فلا حركة ولا حياة، ويمكن أن تشبه بالكهرباء فنحن لا نرى الكهرباء، ولكن ندرك أثرها على الجسم.

٢ - أهمية الجانب الروحي في بناء الشخصية

إن تربية هذا الجانب يدفع بالفرد إلى السمو والرقى والاستعلاء على الأهواء والشهوات، وهي تقي الفرد من الانحراف والانحطاط والسقوط في الرذائل، كما تحميه من كثير من الأمراض النفسية، مثل القلق والاكتئاب اللذين يصاب بهما كثير من الأشخاص البعيدين عن الحياة الروحية، وبها تسكن النفس وتطمئن، وبدونها تختل موازين شخصية الفرد، وتضطرب قواه العقلية والنفسية. والحقيقة أن التربية الروحية لا تقتصر آثارها على الجانب الروحي فحسب، بل تنعكس على بقية جوانب الشخصية، وقد ذكر أحد الباحثين أنه: «كلما ارتقىنا بالتربية الروحية ارتقىنا من الناحية الإنسانية بالحياة الإنسانية إلى مدارج الكمال، وانتقلنا بها إلى آفاق أوسع إشراقاً وانشراحاً وبهجة من الحياة الحيوانية المادية الضيقة»^(٦٠).

(٥٨) مقدار يالجن. فلسفة الحياة الروحية. مصدر سابق، ص ٣٢-٣٣.

(٥٩) عباس محمود العقاد. الفلسفة القرآنية. مصدر سابق، ص ٩٨.

(٦٠) مقدار يالجن. جوانب التربية الإسلامية الأساسية. بيروت، مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر،

والتربية الروحية هي أساس السعادة في الدارين؛ فأكثر الناس شقاء هم المهملون لتربيتهم الروحية، وهذه حقيقة نشاهدها في حياتنا اليومية، ويقرها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (٦١).

٣ - تحقيق نمو الجانب الروحي

وإذا كان الجانب الإيماني هو أول الجوانب الذي ينبغي التركيز عليه في تكوين الشخصية المسلمة - كما أشار الباحث إلى ذلك سابقاً - فإن الجانب الروحي يحتل المرتبة الثانية، لأنه مبني عليه، وهذا ما نلمحه في تربية سيدنا لقمان عليه السلام لولده، حيث بدأ بالجانب الإيماني أولاً ثم انتقل إلى الجانب الروحي، كما في قوله تعالى: ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ (٦٢).

وباعتبار أن العبادة بأنواعها هي الوسيلة الأساسية للنمو الروحي، والصلة الدائمة بين الإنسان وخالقه، لذا نرى كل دين ساهى دعا الناس إلى الحياة الروحية بشكل ما، بل أوجب على الناس عبادة الله، كما في قوله تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ (٦٣).

لذا ينبغي توجيه الفرد إلى عبادة الله، وتعويده ممارستها في ميادينها المختلفة؛ فالتكاليف الإسلامية، والعبادات المفروضة تتطلب ممارسة وسلوكاً عملياً، وأن تكون الممارسة مستمرة طوال حياة الفرد، لقوله تعالى: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ (٦٤).

وينبغي أن تكون الممارسة في العبادات على عدة أوجه؛ لأن العبادة في مفهومها الواسع لا تقتصر على العبادات الراتبة في الإسلام (كالصلاة والصوم والحج . . . الخ) فحسب، بل تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفكار والأعمال والمشاعر والعواطف، وفي جميع الميادين الفكرية والاجتماعية والسياسية والعسكرية وغير ذلك.

(٦١) سورة طه، الآية: ١٢٤.

(٦٢) سورة لقمان، الآيات: ١٣ - ١٧.

(٦٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٦٤) سورة الحجر، الآية: ٩٩.

وهذا المفهوم الواسع ننتقل بالفرد من عبادة الله على وجه واحد إلى عبادته على عدة أوجه، ومن عبادة مقيدة محصورة في جانب معين إلى عبادة مطلقة، تشمل جميع جوانب الحياة، يقول ابن القيم في توجيهاته الصائبة: «وصاحب التعبد المطلق، ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره، بل لا يزال متنقلاً في منازل العبودية، كلما رفعت له منزلة، عمل على سيره إليها، واشتغل بها حتى تلوح له منزلة أخرى، فهذا دأبه في السير حتى ينتهي سيره» (٦٥).

والممارسة المطلوبة في العبادة ينبغي ألا تكون تقليدًا أعمى وألاً تكون أداءً آلياً خالياً من الشعور والرغبة، وقد لفت الإسلام أنظارنا إلى تجنب مثل هذه العادات التي لم تترجم إلى حقائق صحيحة واقعية في النفوس، وإنما هي عادات تؤدي بشكل آلي بدون رؤية ولا تبصر، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٦٦).

ومن الأساليب الفعالة في تنمية البناء الروحي تكوين الوعي لدى الفرد بأهمية الحياة الروحية، وكشف الفوائد المترتبة على ممارستها، والأضرار الناتجة عن تركها، فالعبادات التي شرعها الله لها نتائجها العلمية والعملية، وثمراتها الاجتماعية والفردية على حدٍّ سواء، وقد تناولت كتب عديدة ذلك بالشرح والإيضاح (٦٧).

ثالثاً: الجانب العقلي

١ - مفهوم الجانب العقلي

معنى العقل في اللغة هو: الحِجْرُ والنَّهْيُ (٦٨)، والفهم والتدبر، وإدراك الخطأ، وعقل الشيء أي فهمه وتدبره، وعقل فلان عرف خطأه الذي كان عليه، والعقل هو المدرك

(٦٥) ابن القيم. تهذيب مدارج السالكين. ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ، ج١، ص ١٠٤.

(٦٦) سورة الأنبياء، الآيات: ٥٢ - ٥٤.

(٦٧) انظر: (١) محمد عبدالله دراز. دستور الأخلاق في القرآن. ص ٦٣٥ - ٦٥١.

(ب) محمد شديد. منهج القرآن في التربية. ص ٢٢٢ - ٢٥٩.

(ج) عبدالرحمن النحلاوي. أصول التربية الإسلامية وأساليبها. ص ٥٠ - ٥٥.

(٦٨) الرازي. مختار الصحاح. المصدر السابق، ص ٤٤٦.

الفاهم الحكيم، والعقول: هو المدرك الفاهم للأمور^(٦٩).

والجمهور يطلق العقل على ثلاثة أوجه وهي:

(أ) صحة الفطرة الأولى في الناس، فيقال لمن صحت فطرته إنه عاقل فيكون حدّه «أنه قوة بها يحدد التمييز بين الأمور القبيحة والحسنة».

(ب) وقد يراد به ما يكتسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية فيكون حدّه أنه «معان مجتمعة في الذهن تكون مقدمات تستنبط بها المصالح والأغراض».

(ج) وقد يراد به «معنى يرجع إلى وقار الإنسان وهيئاته واختياره»^(٧٠).

أما مفهوم العقل لدى الفلاسفة، فهم يقصدون من لفظ العقل معاني مختلفة ومن هذه المعاني قولهم، إن العقل «جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها»، وهذا القول بجوهرية العقل موجود في أكثر كتب الفلاسفة، مثل الفارابي، وابن سينا، والكندي. وثاني هذه المعاني قولهم إن العقل قوة النفس التي بها يحصل تصور المعاني، وتأليف القضايا والأقيسة، والفرق بينه وبين الحس أن العقل يستطيع أن يجرد الصورة عن المادة، وعن لواحق المادة. فالعقل إذن قوة تجريد، تنتزع الصورة من المادة، وتدرك المعاني الكلية، كالجوهر والعرض، والعلة والمعلول، والغاية والوسيلة، والخير والشر... الخ. ولهذه القوة عند فلاسفة الإسلام عدة مراتب.

والمعنى الثالث للعقل هو القول بأنه: «قوة الإصابة في الحكم»، وقد أشار «ديكارت»

إلى هذا المعنى.

والمعنى الرابع للعقل هو القول بأنه الملكة التي يحصل بها للنفس علم مباشر بالحقائق المطلقة. وإذا قلنا بوحدة العقل وموضوعه، دل العقل حينئذ على المطلق نفسه، فكأن هذا العقل شيء مستقل عنا، ونحن نتلقاه من الخارج، كما نستشق الهواء المحيط بنا، وكل واحد منا يشعر بأن داخله عقلاً محدوداً لا يصحح أحكامه إلا باستلهاً عقل كلي ثابت لا يتغير^(٧١).

(٦٩) قدرى حافظ طوقان. مقام العقل عند العرب. القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٠م، ص ١٠.

(٧٠) عبد الكريم عثمان. الدراسات النفسية عند المسلمين. ط ٢، القاهرة، دار غريب للطباعة،

١٤٠١هـ، ص ٣٢٥.

(٧١) جميل صليبا. المعجم الفلسفي. بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٣م، ج ٢، ص ٨٤ - ٩١.

والتعريفات السابقة - من وجهة نظر الباحث - ليست تعريفاً للعقل وإنما هي وصف للعمليات العقلية وصفاتها. فالإنسان يدرك أفعال العقل وصفاته ولكن يصعب عليه إدراك العقل نفسه شأنه شأن الروح التي سبق ذكرها.

ومما نستنبطه حول رأي الإسلام في مفهوم العقل، أن العقل لم يرد في القرآن بصيغته الاسمية، وإنما وردت مشتقاته في صيغتها الفعلية فالقرآن لم يشر إلى العقل ذاته أو إلى الأجزاء المكونة للعقل وإنما اهتم بالإشارة إلى الأمر المميز للإنسان على سائر المخلوقات، أي العمليات العقلية من تعقل وتفكر وتدبر وتذكر وتعلم وتعليم، وقد وردت هذه الألفاظ في القرآن الكريم مئات المرات، وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٧٢).

٢ - أهمية الجانب العقلي في بناء الشخصية

العقل من أهم مكونات الشخصية، فبالعقل يقوم الإنسان بمختلف عملياته العقلية، مثل عملية الإدراك والتعلم والتعرف والفهم والتخيل، والعقل هو أساس التكليف في الإسلام في مجالات عدة، في العقيدة، والشريعة والعبادة والمعاملة والتعايش السليم في المجتمع والطبيعة، وفي مجال العمل والإنتاج، وبناء حضارات، وكشف العديد من قوانين الكون وأسراره، والاستفادة منها. فالحياة البشرية لا تستقيم بدون سلطان العقل وتوجيهه.

والعقل عند ابن القيم هو المحرك لجميع البدن، حيث يرى أن «العقل ملك والبدن روحه وحواسه وحركاته كلها رعية له، فإذا ضعف عن القيام عليها وتعهدا وصل الخل إليها كلها» (٧٣).

وبالعقل يميز الإنسان بين الخير والشر، وبين الفضيلة والرذيلة، وبين الصواب والخطأ وبين الحسن والقبيح، «فهو آلة العلم وميزانه الذي به يعرف صحيحه من سقيم، وراجحه من مرجوحه، والمرأة التي يعرف بها الحسن من القبيح» (٧٤).

(٧٢) سورة البقرة، الآية: ٧٣.

(٧٣) ابن القيم. مفتاح دار السعادة. حيدر أباد، الدكن، الهند، مطبعة دائرة المعارف النظامية،

١٣٢٩هـ، ص ١١٧.

(٧٤) مقداد يالجن. التربية الأخلاقية الإسلامية. مصر، مكتبة الخانجي، ١٣٩٧هـ، ص ٥٣٩.

وقد أبدى علماء المسلمين الشيء الكثير عن أهمية العقل، وإجلالهم لأمره، وكيفية أن نسوق شاهداً من ذلك على سبيل المثال، وهو قول عبدالله بن المبارك عندما سُئل «ما أفضل ما أعطي الرجل بعد الإسلام؟ قال: العقل»^(٧٥).

٣ - تحقيق نمو الجانب العقلي

ويتم ذلك عن طريق تنمية القدرات العقلية للفرد؛ كالقدرة اللغوية والقدرة الرياضية والقدرة على الاستنباط والاستدلال، والقدرة على الملاحظة والنقد الهادف، والتحليل الموضوعي، وتنمية العمليات العقلية المختلفة مثل عمليات الإدراك والحفظ والتذكر والتخيل والتفكير وسرعة التذكر والاسترجاع، وعمليات مقاومة النسيان وغير ذلك من العمليات العقلية، وتنمية العادات والاتجاهات ذات الارتباط بالناحية العقلية كحب المعرفة والاستطلاع والقراءة والصبر، والجُلْد على طلب العلم، واحترام آراء الآخرين ووجهات نظرهم، وعدم التعصب للآراء الخاصة، والتحرر العقلي من قيود التقليد الأعمى والعادات والتقاليد غير الصحيحة، وتنمية المهارات العقلية، كمهارة التصنيف والترتيب، ومهارة القراءة والكتابة، ومهارة التفكير المنطقي والمنهجي، ومهارة الشرح والتفسير، ومهارة تكوين قوانين عامة، وما إلى ذلك من المهارات، والكشف عن الاستعدادات والقدرات العقلية وتوجيهها الوجهة السليمة، والاستفادة منها بما يفيد الفرد والجماعات، وتبثئة الجو العلمي الصالح الذي يسهم في تنمية تلك الاستعدادات والقدرات العقلية عند الفرد، وتزويده بالمعارف والأساليب التي تسهم في تنمية الجانب العقلي، والمحافظة على تلك الاستعدادات والقدرات العقلية، ووقايتها من المؤثرات التي تؤدي إلى إضعافها سواء أكانت مؤثرات صحية أم نفسية، أو مؤثرات داخلية أم خارجية.

والشواهد من الكتاب والسنة على ذلك كثيرة لا يتسع المجال لذكرها فضلاً عن تفسيرها وشرحها، منها على سبيل المثال لا الحصر، أن القرآن الكريم حذّر من اتباع الهوى الذي يؤدي إلى سقم التفكير، وبعد صاحبه عن إدراك الحقائق، قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٧٦)، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله^(٧٦).

(٧٥) ابن القيم الجوزية. روضة المحبين ونزهة المشتاقين. (تصحیح أحمد عبيد)، القاهرة، المكتبة

التجارية الكبرى، ١٩٥٦م، ص ١٦.

(٧٦) سورة القصص، الآية: ٥٠.

كما يشير القرآن إلى أن أصحاب الهوى يفتقدون دائماً المعلومات اللازمة لسلامة التفكير وصحة الاستدلال، قال تعالى: ﴿وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم﴾ (٧٧)، كما حذر القرآن من التقليد الأعمى، واتباع الغير دون تفكير وتبصر في الأمور؛ لأن ذلك يحد من تفكير الفرد وإدراكه، ويجعله تابعاً لا متبوعاً، قال تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾ (٧٨).

كما حذر من التسرع في الحكم على الأشياء دون تثبت وتروٍّ وتحرٍّ، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ (٧٩).

ودعا إلى استخدام البراهين الشافية والكافية للوصول إلى الحقائق، قال تعالى: ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ (٨٠) والبرهان المطلوب هو البرهان الذي يعتمد في خطواته على أسس علمية وحقائق، لا على الظن والتخمين، قال تعالى: ﴿وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ (٨١)، إلى غير ذلك من الشواهد التي لا يتسع المقام لذكرها.

رابعاً: الجانب الأخلاقي

١ - مفهوم الجانب الأخلاقي

للأخلاق في اللغة عدة معانٍ، منها الخلق والخلق بضم اللام وسكونها: هو الدين والطبع والسجية (٨٢).

أما الأخلاق في الاصطلاح، فقد اختلفت المذاهب والفلسفات في تحديد مفهومها، وذلك راجع إلى اختلاف الأفكار والمعتقدات والبيئات والأزمنة، ثم اتساع مجال ميادين الأخلاق نفسها. فقد عرّف «مكدوجل» الخلق بأنه «نظام تصاعدي متكامل من العواطف

(٧٧) سورة الأنعام، الآية: ١١٩.

(٧٨) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٧٩) سورة الحجرات، الآية: ٦.

(٨٠) سورة البقرة، الآية: ١١١.

(٨١) سورة النجم، الآية: ٢٨.

(٨٢) ابن منظور. لسان العرب. مصدر سابق، ج ١، ص ٨٨٩.

تسيطر عليه سيدة العواطف» وعرفه «روباك» بأنه «حالة أو ميل نفسي يتحكم في الغرائز ويمنعها من تحقيق أهدافها، وذلك بمقتضى مبدأ منظم لتلك الغرائز»، وعرف «جون ديوي» الأخلاق بأنها: «كل ما ينطوي عليه العمل من عمليات الإمعان؛ أي الموازنة والتروي والرغبة أو الدافع سواء أكانت هذه العمليات قريبة أم بعيدة»^(٨٣).

وقد عرف ابن مسكويه الأخلاق بأنها: «حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية»^(٨٤)، وقد ذهب الإمام الغزالي في تعريفه للخلق إلى ما ذهب إليه ابن مسكويه وعرفه بأنه: «هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية»^(٨٥). أما ما قاله الإمام الغزالي فهو الصورة في إطار فلسفته الإسلامية حيث يرى أن الأخلاق هيئة في النفس راسخة - إيمان صادق - تصدر عنها الأفعال بسهولة وبدون تروٍّ وتفكير في الظروف والأحوال لأن الفعل يتجه مباشرة للقاعدة الأخلاقية ليحققها، ويعرف الباحث الأخلاق في نظر الإسلام بأنه: «العمل بالقرآن الكريم والسنة المطهرة بنية مخلصنة وطيبة من غير تكلف ابتغاء مرضاة الله وحسن الثواب»؛ ويعرف الباحث الخلق بهذا التعريف لأن السيدة أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، عندما سُئلت عن خلق النبي، ﷺ، قالت: «كان خلقه القرآن»^(٨٦)، أما توفر النية المخلصنة في العمل فهذا شرط أساسي في الأخلاق الفاضلة، فالأعمال التي لا تصدر عن نية مخلصنة طيبة لا تكون أخلاقاً فاضلة، وقد اعتبر رسول الله، ﷺ، النية الحيرة أساس الأعمال، فقال: «العمل بالنية وإنها لامرء ما نوى»^(٨٧).

وقد أقر العديد من العلماء والفلاسفة وجود النزعة الأخلاقية في الطبيعة الإنسانية، وبهذه النزعة يستطيع الإنسان أن يميز بين الخير والشر، ويستطيع أن يضبط دوافعه

(٨٣) صالح عبدالعزيز. التربية وطرق التدريس. ط٧، القاهرة، دار المعارف بمصر، ص٢٣٣-٢٣٥.

(٨٤) ابن مسكويه. تهذيب الأخلاق. بيروت، مكتبة الحياة، د.ت.، ص٣٦.

(٨٥) الإمام الغزالي. إحياء علوم الدين. القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٣٩م، ج٣، ص٥٦.

(٨٦) محمد ناصر الدين الألباني. صحيح الجامع الصغير وزيادته. ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٧٩م، رقم الحديث (٤٦٨٧) ص٢٣٨.

(٨٧) البخاري. صحيح البخاري. المصدر السابق، كتاب النكاح، ج٦، ص١١٨.

وشهواته، ومن بين هؤلاء «وليم مكدوجل» فقد قال: «وفي نفوسنا نزعة تدفعنا إلى أن ننبد كل ما هو كره محقوت وننفر منه في اشمئزاز وتقزز»^(٨٨)، وقال «روسو»: «إن في قرارة النفوس مبدأ فطرياً للعدل والفضيلة نقيس به أفعالنا وأفعال سوانا من الناس ونحكم عليها بالخير أو السوء»^(٨٩).

أما نظرة الإسلام إلى وجود نزعة أخلاقية في طبيعة الإنسان، فهناك آيات عديدة تقر ذلك، منها قوله تعالى: ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾^(٩٠)، وقال تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى﴾^(٩١)، قال الإمام الرازي: «أما قوله ﴿فهدى﴾ عبارة عن خلق تلك القوة في تلك الأعضاء بحيث تكون كل قوة مصدراً لفعل معين، ويحصل من مجموعها تمام المصلحة»^(٩٢).

ولكن يود الباحث أن يشير إلى أنه بالرغم من وجود نزعة أخلاقية إلا أنها لا تنمو بمفردها فهي بحاجة إلى معونة خارجية.

٢ - أهمية الجانب الأخلاقي في بناء الشخصية

للأخلاق أهمية كبيرة على الأفراد والجماعات، فهي دعامة كل نهضة وأساس كل تقدم وتطور ورفي، وبضياح الأخلاق وإهمالها تنهار الأمم وتضيع، فالأخلاق ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية، وقد اهتمت كافة التريبات بالجانب الأخلاقي. وتحتل الأخلاق في الإسلام مكانة عظيمة، وشرفاً رفيعاً، وهناك ترابط بين الإيمان والأخلاق في التربية الإسلامية.

فالجانب الأخلاقي من أهم جوانب شخصية الفرد، فعن طريق تنمية ذلك الجانب

(٨٨) وليم مكدوجل. الأخلاق والسلوك في الحياة. (ترجمة جبران إبراهيم) القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٦١م، ص ٢٥.

(٨٩) جان جاك روسو. أميل. (ترجمة نظمي لوقا)، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٥٨م، ص ٢١٣.

(٩٠) سورة الشمس، الآيتان: ٧، ٨.

(٩١) سورة الأعلى، الآيات: ١ - ٣.

(٩٢) الإمام الفخر الرازي. التفسير الكبير. القاهرة، المطبعة البهية المصرية، ١٩٣٣م، ج ٣١، ص ١٤٠.

تتحقق سعادة الدارين للفرد، وهذا ما أكدته الإسلام أن الخلق الحسن هو طريق السعادة، وأن الخلق السيء هو طريق الشقاوة، لقول رسول الله، ﷺ: «من سعادة المرء حسن الخلق ومن شقاوته سوء الخلق»^(٩٣).

ولأهمية هذا الجانب في بناء الشخصية المسلمة، نجد الحق سبحانه يمدح رسوله الكريم بهذه الميزة، ميزة الأخلاق، على الرغم من وجود مزايا عديدة في شخصيته، ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٩٤)، كما نجد أن مهمة الرسل والأنبياء عمومًا تنصب على تنمية الجانب الأخلاقي، وهذا ما نلمحه في حديث رسول الله، ﷺ، قال: «إِنَّمَا بُعِثَ لَأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»^(٩٥). فالشخصية السوية لا تكتمل إلا بتنمية الجانب الأخلاقي.

٣ - تحقيق نمو الجانب الأخلاقي

ويتم تحقيق ذلك عن طريق تطهير النفس من جميع الرذائل الأخلاقية والإرادات الشريرة، عملاً بقوله تعالى: ﴿مَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾^(٩٦)، وبجانب التطهير ينبغي تنمية الروح الأخلاقية، ونزعات الخير في نفس المرء، وقد استخدم القرآن الكريم التزكية، والتزكية تفيد التطهير مع التنمية، قال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾^(٩٧).

كما أن تنمية الجانب الأخلاقي تحتاج إلى تعليم وتبصير أخلاقي، إذ لابد من وعي أخلاقي، ليدرك الإنسان حكمة المبادئ الأخلاقية، ولابد من بصيرة أخلاقية ليستطيع بها المرء التمييز بين السلوك الخير والسلوك الشرير وما يترتب على الفضيلة من الخيرات وما يترتب على الرذائل من مضار وشرور، وقد ذكر الإمام الفخر الرازي عن الجمع بين التعليم والتزكية في قوله تعالى: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾^(٩٨) وقال:

(٩٣) الإمام أحمد بن حنبل. مسند الإمام أحمد، وبهامشه منتخب كنز العمال. ج ١، ص ١٣٢.

(٩٤) سورة القلم، الآية: ٤.

(٩٥) محمد ناصر الدين الألباني. صحيح الجامع الصغير وزيادته. المصدر السابق، رقم الحديث

(٢٣٤٥)، ج ٢، ص ٣٨٥.

(٩٦) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٩٧) سورة البقرة، الآية: ١٥١.

(٩٨) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

«اعلم أن كمال حال الإنسان في أمرين أحدهما أن يعرف الحق لذاته ، والثاني أن يعرف الخير لأجل العمل به ، فإن أخل بشيء من هذين الأمرين لم يكن طاهرًا من الرذائل ولم يكن زكيًا عنها» (٩٩).

وبالإضافة إلى ما ذكر في تنمية الجانب الأخلاقي ينبغي تكوين الاستعداد الكامل للالتزام بالمبادئ الأخلاقية ، وممارسة ذلك عمليًا ، ولابد من تكوين الشعور بالمسؤولية الأخلاقية أمام الله ، بحيث يحاسب نفسه كأنه يرى الله ، وأن يخاف من عقاب كأنه واقع ، وأن يعمل بما تنص عليه الآية الكريمة : ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾ (١٠٠) ، ويعلم أن الله معه حيثما كان ، وهذه هي درجة الإحسان التي تتميز بها الشخصية المؤمنة عما سواها .

خامسًا : الجانب الاجتماعي

١ - مفهوم الجانب الاجتماعي

الجمع في اللغة هو اسم لجماعة الناس ، والمجمع : يكون اسمًا للناس وللموضع الذي يجتمعون فيه ، والجميع : الحَيُّ المجتمع (١٠١) . والمجتمع في الاصطلاح جماعة من الأحياء تصل إلى درجة من النمو وتظل كذلك ما دامت الظروف البيئية التي تحيط بها ثابتة (١٠٢) ، ويطلق لفظ المجتمع بمعنى أخص على المجموع من الأفراد تؤلف روابط واحدة ، تثبتها الأوضاع والمؤسسات الاجتماعية ، ويكفلها القانون ، أو الرأي العام ، بحيث لا يستطيع الفرد أن يخالفها ، أو ينحرف عنها ، إلا إذا عرض نفسه للعقاب ، أو السخط ، أو اللوم (١٠٣) . والإنسان كما يمتاز بنزعة الأخلاقية ، فإنه يمتاز أيضًا بنزعة الاجتماعية ، لدرجة أن بعض علماء الاجتماع والفلاسفة عرفوا الإنسان بأنه اجتماعي بطبعه ، ويعد هذا المفهوم من أقدم المفاهيم ، فقد قال ابن مسكويه : «إن الإنسان مدني بالطبع أي هو محتاج إلى مدينة فيها خلق كثير لتتم له السعادة الإنسانية ، فكل إنسان بالطبع وبالضرورة محتاج إلى غيره ،

(٩٩) الإمام الفخر الرازي . التفسير الكبير . المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٤ .

(١٠٠) سورة غافر ، الآية : ١٩ .

(١٠١) ابن منظور . لسان العرب . المحيط ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٤٩٨ - ٤٩٩ .

(١٠٢) ابن منظور ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(١٠٣) جميل صليبا . المعجم الفلسفي . مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ .

فهو لذلك مضطر إلى مصافاة الناس ومعاشرتهم العشرة الجميلة، ومحبتهم المحبة الصادقة لأنهم يكملون ذاته ويتممون إنسانيته، وهو أيضًا يفعل بهم مثل ذلك»^(١٠٤). وقد ذهب ابن خلدون إلى ما ذهب إليه ابن مسكويه ويقرر إن الإنسان: «مدني بالطبع، أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة»^(١٠٥).

أما نظرة الإسلام إلى ذلك فقد نلمح في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾^(١٠٦) إشارة إلى وجود استعداد اجتماعي عند الإنسان، وموطن الاستشهاد في الآية الكريمة: «التعارف»، وهذا ما أشار إليه الرازي، وقال: «في الآية فائدة التعارف لا التناكر»^(١٠٧)، ويضيف في موطن آخر ويقول: «وفيها - الآية السابقة - معانٍ لطيفة (الأولى) قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾، وقال: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ﴾ لأن الخلق أصل تفرع عليه الجعل ﴿شُعُوبًا﴾ فإن الأول هو الخلق والإيجاد، ثم الاتصاف بما اتصفوا به، ولكن الجعل شعوبًا للتعارف والخلق للعبادة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾»^(١٠٨).

٢ - أهمية الجانب الاجتماعي في بناء الشخصية

يُعد الجانب الاجتماعي من جوانب مكونات الشخصية، لأن سلوك الفرد وتصرفاته ومعاملاته ما هي إلا نتاج لتفاعل استعدادات ومكونات الفرد الداخلية مع عوامل البيئة الخارجية والاجتماعية، والثقافية والطبيعية، وعن طريق هذا التفاعل يتحقق البناء والتعمير، وتحسين الواقع الطبيعي والاجتماعي والثقافي الذي يعيش فيه، وعن طريق التفاعل الحسن بين الإنسان وعناصر البيئة الطبيعية يستطيع أن يحول ذلك إلى إنتاج وثروة، وعن طريق التفاعل الحسن بينه وبين عناصر البيئة الاجتماعية يجد لنفسه الراحة والطمأنينة والمحبة والمودة والاحترام والتقدير، وهذه حاجات أساسية عند الإنسان، يقول ابن مسكويه: «إن الإنسان محتاج إلى صديق عند حسن الحال وعند سوء الحال، فعند سوء الحال يحتاج إلى

(١٠٤) ابن مسكويه. تهذيب الأخلاق. مصدر سابق، ص ٣٥.

(١٠٥) ابن خلدون. المقدمة. مطبعة مصطفى محمد، ص ٤١.

(١٠٦) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(١٠٧) الإمام الفخر الرازي. التفسير الكبير. مصدر سابق، ج ٢٨، ص ١٣٨.

(١٠٨) الإمام الفخر الرازي. التفسير الكبير. مصدر سابق، ج ٢٨، ص ١٣٨.

معونة الأصدقاء، وعند حسن الحال يحتاج إلى المؤانسة وإلى من يحسن إليه»^(١٠٩)، والإنسان وحده من بين مخلوقات الله الذي منحه الله القدرة على إحداث التطور في الطبيعة، وخلق الحضارة، وبناء المجتمعات.

ولأهمية ذلك الجانب فقد كانت نقاط التطور الحضري في المدن محط الرسائل السماوية، وأن كافة الرسل أرسلوا لمجتمعات حضرية سميت في القرآن الكريم بالقرى، قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى﴾^(١١٠).

٣ - تنمية الجانب الاجتماعي

ويتم ذلك عن طريق تنمية الروح الاجتماعية بحيث يصبح للفرد اهتمام بشؤون مجتمعه، ويعمل لخيره وإسعاده، ويحافظ على دينه وقيمه وتراثه. ومساعدة الفرد على بناء علاقات اجتماعية ودية بينه وبين أفراد مجتمعه، وتبصيره بالمبادئ التي أكدها الإسلام لتدعيم تماسك المجتمع ووحدته وقوته، مثل مبدأ المصلحة العامة، ومبدأ العدالة، ومبدأ المساواة، ومبدأ التكافل الاجتماعي والتضامن، ومبدأ التآخي والتآلف والتواد والتراحم والتناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والتركيز على الروابط التي تعمل على تلاحم المجتمع المسلم وترابطه، مثل رابطة الدين واللغة والقيم والعادات، إضافة إلى الروابط التاريخية، والجغرافية، والاقتصادية، والسياسية.

وإكساب الفرد القدرة على التكيف مع القيم والعادات والتقاليد والأعراف والنظم السائدة في مجتمعه والتغيرات المرغوبة. وإكسابه القدرة على التعاون والعمل المنتج، وتنمية المهارات والاتجاهات ونحو ذلك، مثل تقدير الوقت، واحترام العمل، والإخلاص فيه وإتقانه، والالتزام بروح التطور والإبداع إلى الأفضل، والإيمان بالتخطيط والترتيب والتنظيم إلى غير ذلك من الاتجاهات.

وإكساب الفرد الآداب الاجتماعية، مثل آداب الأكل والشرب، وآداب اللباس والزينة، وآداب التحية والسلام، وآداب الضيافة، وآداب الزيارة، وغير ذلك. والشواهد من الكتاب والسنة على تنمية الجانب الاجتماعي عديدة لا يتسع المجال

(١٠٩) ابن مسكويه. تهذيب الأخلاق. مصدر سابق، ص ١٤٢.

(١١٠) سورة يوسف، الآية: ١٠٩.

لذكرها جميعاً، نورد منها على سبيل المثال بعض العلاقات الاجتماعية التي تُعد تجسيدا حياً لتكوين الشخصية المسلمة، منها العلاقة بالوالدين، قال تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾^(١١١)، والعلاقة بالأولاد، قال تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾^(١١٢)، والعلاقة بالزوج، قال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾^(١١٣)، والعلاقة بالأقارب، قال تعالى: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾^(١١٤)، والعلاقة بالجيران، قال تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب﴾^(١١٥)، والعلاقة بالمسلمين عامة، قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾^(١١٦)، والعلاقة بالبشر عامة، قال تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾^(١١٧). إلى غير ذلك من الشواهد في تنمية الجانب الاجتماعي.

سادساً: الجانب النفسي (الوجداني)

١ - مفهوم الجانب النفسي (الوجداني)

من الصعوبة بمكان الوصول إلى مفهومٍ شافٍ وكافٍ لهذا الجانب، لأن هذا الجانب يتكون من دوافع وعواطف وانفعالات، وكل مكون من هذه المكونات له عدد من التعاريف، يصعب في هذه العجالة السريعة الإلمام بها، ولكن يود الباحث أن يشير باختصار إلى بعض منها فيما يلي:

(١١١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(١١٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.

(١١٣) سورة الروم، الآية: ٢١.

(١١٤) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

(١١٥) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(١١٦) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(١١٧) سورة الممتحنة، الآية: ٨.

(أ) الدوافع: وهي كل ما يدفع الإنسان إلى القيام بسلوك معين، سواء كان هذا الدافع نابغاً من داخل الكائن أم من بيئته. وقد أشار بعض الباحثين إلى أن كلمة «دافع» تستخدم في الحياة الجارية بمعانٍ أشمل وأوسع من معناها السيكولوجي الخاص، فتشمل بذلك الحاجات والخوافز والمثيرات والبواعث والعادات والأهداف... الخ^(١١٨).

(ب) العواطف: تعرف العاطفة بأنها «استعداد نفسي، ينزع بصاحبه إلى الشعور بانفعالات وجدانية خاصة، والقيام بسلوك معين حيال شيء، أو شخص، أو جماعة، أو فكرة معينة، ففيها إذن انفعال وتصور وفعل، فهي لا تخلو من تصور واضح أو غامض، مصحوب بفعل محمود أو غير محمود»^(١١٩). كما تعرف العاطفة بأنها «اتجاه وجداني نحو موضوع بعينه مكتسبة بالخبرة والتعلم»^(١٢٠).

(ج) الانفعالات: يرى الكثير من الباحثين أنه من الصعوبة بمكان وضع تعريف محدد للانفعالات ولكن عوضاً عن ذلك، فإن الانفعالات يمكن فهمها ومعرفتها من خلال خصائصها والآثار المترتبة عليها، ومنها ما يلي:

- ١ - التغير المفاجيء الذي يشمل المظاهر الجسمية للفرد بكامله.
- ٢ - المظاهر التعبيرية الخارجية التي تبدو في الحركات والتغيرات والأوضاع الجسمية المختلفة.

- ٣ - الانفعال حالة شعورية يمكن الاستدلال على نواحيه الداخلية بالتأمل الباطني.
 - ٤ - قد يكون للانفعال مظهر عضوي داخلي كاضطراب التنفس وسرعة نبض القلب، وجفاف الفم، وتغيرات الدم، ونشاط غدد العرق وارتخاء عضلات الجسم^(١٢١).
- أما مفهوم النفس في القرآن الكريم، فقد وردت النفس في أكثر من موطن واستخدمت لعدة معانٍ، فتارة تدل على الإنسان بكامله أو الذات الإنسانية بعامه، فكل عمل يقوم به الإنسان من إيمان أو مجادلة أو خلاف ذلك يُعد نشاطاً كلياً للإنسان باعتباره

(١١٨) مصطفى فهمي. الدوافع النفسية. مصر، دار مصر للطباعة، دون تاريخ، ص ٣٢.

(١١٩) جميل صليبا. المعجم الفلسفي. مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٤.

(١٢٠) مصطفى فهمي. الدوافع النفسية. مصدر سابق، ص ٩٧.

(١٢١) انظر: (أ) مصطفى فهمي. الدوافع النفسية. ص ٨٢.

(ب) السيد خيرى وآخرون. علم النفس التربوي. ص ٣٢.

وحدة جسمية ونفسية متكاملة لا تتجزأ، كما في قوله تعالى: ﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله﴾ (١٢٢)، وقال تعالى: ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون﴾ (١٢٣).

وتارة أخرى يربط القرآن الكريم بعض المظاهر كالخوف والقلق والغضب، وما شابه ذلك بالنفس، قال تعالى: ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ (١٢٤).

وتارة أخرى يبين أصناف النفس، فهناك النفس اللوامة، وهي الرقيب الداخلي، قال تعالى: ﴿لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ (١٢٥). والنفس الملهمة، وهي التي تواجه العالم الخارجي وتتأثر به، قال تعالى: ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾ (١٢٦)، والنفس الأمانة بالسوء، وهي التي توسوس بالسوء وممارسة بعض الآثام لأجل التمتع واللذة العاجلة، قال تعالى: ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء﴾ (١٢٧).

وبدراسة المضامين التربوية في الكتاب والسنة نجدها تقرر العديد من الدوافع النفسية والعواطف والانفعالات، كما يفهم من الآيات القرآنية السابق ذكرها.

٢ - أهمية الجانب النفسي في بناء الشخصية

يُعد هذا الجانب من الجوانب المهمة في تكوين شخصية الإنسان، لأن الشخصية السوية، هي التي تتسم بالاتزان في دوافعها وعواطفها ونزعاتها، بل إن هذا الجانب من الجوانب التي تتصف بها الشخصية المسلمة، لقوله تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾ (١٢٨)، وقال رسول الله، ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك

(١٢٢) سورة يونس، الآية: ١٠٠.

(١٢٣) سورة النحل، الآية: ١١١.

(١٢٤) سورة طه، الآيتان: ٦٧، ٦٨.

(١٢٥) سورة القيامة، الآيتان: ١، ٢.

(١٢٦) سورة الشمس، الآيتان: ٧، ٨.

(١٢٧) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

(١٢٨) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

نفسه عند الغضب» (١٢٩).

وحاجة الفرد إلى الرعاية النفسية في وقتنا الحاضر أشد من أي وقت مضى ، لأن الحياة العصرية بتغيراتها السريعة والمتعددة في شتى المجالات سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وصحياً جعلت الفرد يعيش في حيرة وخوف شديدين ، وقد تؤدي الظروف المحيطة به إلى صراع يؤثر في نفسه ، وفي مواقفه واتجاهاته في الحياة ، وفي قدرته على الحركة والنشاط والعمل .

فالرعاية النفسية تجعل الفرد قادراً على فهم نفسه ، وهذا المبدأ من أقدم المبادئ التي نادى بها التربية القديمة «اعرف نفسك» ولا يزال هو شعار التربية الحديثة .

كما أن الرعاية النفسية تساعد الفرد على بناء اتجاهات نفسية سليمة نحو نفسه ونحو الناس ونحو الحياة ، وتفتح أبواب الأمل أمامه ، وتجعله أكثر تكيفاً وسعادة في حياته ، وتبعد عنه شبح اليأس والقنوط .

وهناك العديد من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة تشير إلى أهمية هذا الجانب وآثاره في تكوين الشخصية الإنسانية ، وتهتم بتوجيه الوجهة الرشيدة ، وسيسير الباحث إلى بعض من تلك الشواهد في الفقرة الآتية :

٣ - تحقيق نمو الجانب النفسي

هناك العديد من الأساليب والخطوات التي تسهم في تنمية الجانب النفسي ويود الباحث أن يوجز بعضاً منها في النقاط الآتية :

(١) تنمية الوازع الإيماني : ما من تنمية لجانب من جوانب شخصية الفرد في مجال التربية الإسلامية ، إلا وكان الوازع الإيماني أحد المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها تنمية وتربية ذلك الجانب ، فالإيمان ينظم حياة الإنسان النفسية ، ويوحد نوازه وطاقاته ، ويوجد الطمأنينة في النفس ، ويحفظ الإنسان من الوقوع في الخطيئة ، وبانصراف الفرد عن الخطيئة يكون في مأمن من العديد من الاضطرابات النفسية التي توصل إليها كثير من علماء النفس المحدثين ، مؤكدين أن الإثم (الشعور بالخطيئة) يعتبر محور العصاب (الاضطراب النفسي)، وتوصلوا إلى نظرية تعرف بـ«نظرية الخطيئة في العصاب» (١٣٠)، ويُعد الشعور

(١٢٩) مسلم . صحيح مسلم . ج ٨ ، ص ٣٠ .

(١٣٠) مصطفى فهمي . الصحة النفسية . مصدر سابق ، ص ٣٦٧ .

بالخطيئة من أصعب الحالات النفسية التي تواجه الإنسان في حياته، وقد وصفها أحد الباحثين بأنها «تهدد أمنه وتجعله يعيش دوماً في دوامة من الخطر، ويعتبر هذا الشعور من أسوأ ما ابتليت به النفس البشرية» (١٣١).

ويؤكد القرآن الكريم في أكثر من موطن فضل عقيدة التوحيد في تحقيق وحدة النفس الإنسانية، قال تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ (١٣٢)، فشبّه الله النفس الموحدة لربها بالعبد الذي يملكه رجل واحد، تهدأ نفسه وتستقيم حياته، لأنه يسير وفق توجيهات معينة ونظام واحد، وشبه المشرك بالعبد الذي يملكه عدة شركاء متشاكسون، فهو قلق لا تهدأ نفسه بسبب تعدد الأوامر والتوجيهات.

(ب) تنمية الوازع الأخلاقي أو (الضمير الخلقي): فالوازع الخلقي يجنب صاحبه الوقوع في الرذيلة، فأعمال الفضائل من صدق وأمانة وإحسان واستقامة وتقوى وحفظ أعراض إلى غيره من فضائل الأخلاق تقود إلى الراحة النفسية وإلى الفلاح، كما في قوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ (١٣٣).

(ج) تنمية الوازع الاجتماعي: إذا كانت عاطفة الحاسة الدينية والأخلاقية خير وسيلة للوصول بالمرء إلى حياة سعيدة، وخير وسيلة أيضاً لوقايته من الاضطرابات والحالات النفسية، فإن عاطفة حب الآخرين والاتصال بهم والتعايش معهم بسلام لها أثرها في ذلك أيضاً. كما أن المجتمع وما يحويه أيضاً من تقاليد ومعتقدات وعلوم وأذواق ونظم وقوانين، كل ذلك يؤثر على حالة الفرد النفسية، وقد نجد في قصة مريم ما يؤكد ذلك، فالحالة النفسية التي حلت بمريم وتمت الموت على الحياة، لم تكن بسبب خطيئة ارتكبتها وإنما بسبب خروجها عن العادة والعرف في مجتمعها، كما في قوله تعالى: ﴿فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً فناداها من تحتها ألا تحزني قد

(١٣١) مصطفى فهمي. مصدر سابق، ص ٣٦٧.

(١٣٢) سورة الزمر، الآية: ٢٩.

(١٣٣) سورة المؤمنون، الآيات: ١ - ٧.

جعل ربك تحتك سرياً ﴿١٣٤﴾.

كما أن المقاطعة الاجتماعية، وعزلة الفرد عن مجتمعه من أقوى الحالات النفسية آلاماً، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة عن حال الثلاثة المخلفين عندما قاطعهم رسول الله ﷺ، وأصحابه، قال تعالى: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾.

(د) تنمية البصيرة والحكمة: من المعلوم أن الإنسان المبصر والحكيم يستطيع أن يدرك الأمور بتعقل وروية ويتصرف تصرفاً حكيماً في معظم القضايا، بهذا يستطيع أن يضبط نفسه في المواقف المثيرة للانفعالات، فلا يندفع أو يتهور، وبالتالي يكون أكثر اتزاناً وهدوءاً وسعادة. فتنمية الحكمة من الوسائل المهمة، والعوامل الدافعة إلى تكوين شخصية عاقلة يتفاعل صاحبها مع ما يتعلم من حقائق علمية ويندفع إلى تطبيقها في حياته العملية في المجالات المختلفة، ثم إنه لا يخضع في تفكيره وسيره وعمله لنزواته وشهواته ﴿١٣٥﴾.

والحكمة فيها الخير الكثير، ومصدق ذلك قوله تعالى: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ ﴿١٣٦﴾.

(هـ) إشباع الحاجات اللازمة للفرد: ينبغي أن تشبع حاجات الفرد الأولية المادية والنفسية وحاجاته الشخصية بالطرق المشروعة، لأنه إذا لم تشبع حاجات الفرد، عضوية كانت أم نفسية، فإنه يحاول أن يجد أية وسيلة يشبع بها حاجاته، وقد تكون هذه الوسيلة غير خلقية، لا يقرها الدين والمجتمع، ومن هنا ينحرف الفرد أو يجنح، فتختل بذلك عملية التوافق ﴿١٣٧﴾.

أما الحاجات الأساسية التي ينبغي مراعاتها، فقد أوجزها أحد الباحثين في حاجتين أساسيتين هما:

١ - الحاجات الفسيولوجية، مثل الحاجة إلى الهواء، والغذاء، والماء، ودرجة الحرارة المناسبة، والوقاية من الجروح، والأمراض، والسموم، والتوازن بين الراحة والنشاط.

(١٣٤) سورة مريم، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(١٣٥) مقداد يالجن. جوانب التربية الإسلامية. مصدر سابق، ص ٩٧ - ٩٨.

(١٣٦) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

(١٣٧) مصطفى فهمي. الصحة النفسية. مصدر سابق، ص ٣٥ - ٣٦.

٢ - الحاجات النفسية الأساسية، مثل الحاجة إلى الأمن، والحاجة إلى الحب والمحبة، والحاجة إلى الرعاية الوالدية والتوجيه، والحاجة إلى إرضاء الكبار، والحاجة إلى إرضاء الأقران، والحاجة إلى التقدير الاجتماعي، والحاجة إلى الحرية والاستقلال، والحاجة إلى التحصيل والنجاح، والحاجة إلى مكانة واحترام الذات، والحاجة إلى اللعب^(١٣٨).

وبدراسة المضامين التربوية في الكتاب والسنة نجدها تقرّ العديد منها وتعترف بها، وتدعو إلى إشباعها بالطرق المتزنة التي تكفل للشخصية الإنسانية حسن التنمية والتكوين، منها على سبيل المثال التوجيهات الصائبة حيال الحاجة إلى الأمن، في قوله تعالى: ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾^(١٣٩). والتوجيهات الصائبة حيال الحاجة إلى الطعام والشراب والزينة، قال تعالى: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾^(١٤٠)، والتوجيهات الصائبة حيال الحاجة إلى الحب والمحبة، قول رسول الله، ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(١٤١)، إلى غير ذلك من التوجيهات الصائبة التي لا يتسع المقام لذكرها فضلاً عن شرحها وتفسيرها.

سابعاً: الجانب الصحي (الجسمي)

١ - مفهوم الجانب الصحي

إن من أبرز التعريفات العلمية الشاملة للصحة هو ما توصل إليه بعض خبراء الإدارة الصحية بهيئة الصحة العالمية، حيث عرفوا الصحة العامة بأنها: «العلم والفن الهادفان إلى صد غائلة المرض، والوقاية منه، ورفع مستوى الصحة والكفاية، نتيجة للمجهودات المنظمة لتحسين صحة البيئة، والتحكم في انتشار الأمراض المعدية، وتعليم الأفراد أصول

(١٣٨) حامد زهران. علم نفس النمو. ط٤، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٧م، ص ٢٦٧ - ٢٧٠.

(١٣٩) سورة المائدة، الآية: ٣٢.

(١٤٠) سورة الأعراف، الآيتان: ٣١، ٣٢.

(١٤١) محمد ناصر الدين الألباني. صحيح الجامع الصغير وزيادته. رقم الحديث (٥٧٢٥)، ج ٥،

الصحة الشخصية، وتنظيم الخدمات الطبية، والتمريض لاكتشاف المرض في بؤاره، والوقاية منه، وتنمية الجهاز الاجتماعي حتى يتمكن كل فرد من الارتقاء إلى مستوى معيشي باعث على الصحة، وحتى يمنح كل مواطن حقوقه الطبيعية في الصحة وطول العمر»^(١٤٢). والمتأمل في تعاليم الإسلام يجد عرضاً واضحاً لما يعنيه مفهوم الصحة، فهناك التعاليم الواضحة حيال نظافة الجسد وغذائه، ووقايته وعلاجه من الأمراض، وراحته وتدريباته الرياضية، ومراحل نموه، وخشية من التكرار سيعمد الباحث إلى تقديم الشواهد في فقرة لاحقة.

ومفهوم الصحة في الإسلام لا يقتصر على الصحة الجسمية وحدها فحسب، بل يشمل الصحة النفسية والعقلية، لأن كل جانب له تأثيره على الجوانب الأخرى، فالصحة النفسية مثلاً تؤثر على الصحة الجسمية والعقلية، وقد أظهرت بعض البحوث التجريبية: «أن نصف الذين يشكون من مختلف الأمراض بصورة عامة - في أقل تقدير - يعانون من الأمراض النفسية بل ويمكن القول بأن ثلاثة أرباع المرضى في عصرنا الحاضر تنشأ أمراضهم من العلل النفسية»^(١٤٣). ولهذا فمن الصعوبة بمكان فصل الصحة النفسية عن الصحة الجسمية.

٢ - أهمية الجانب الصحي في بناء الشخصية

للجانب الصحي أهمية بالغة في بناء الشخصية المسلمة، لأنها هي الدعامة الأولى في الشعور بالرضا والسعادة في حياة الناشئ، ولأنها هي التي تمدّه بالقدرة والطاقة للقيام بأعماله ومناشطه في الحياة، وهي من العوامل الرئيسة في تنمية القدرات العقلية، وذلك باعتبار أن العقل السليم في الجسم السليم، كما أنها من العوامل المهمة في زيادة كفاءة الفرد الخلقية والاجتماعية والتعبدية، وفي عمارة الأرض، وترقية الحياة وتنميتها. فالصحة تكاد تكون أهم شيء في حياة الإنسان، ذلك أنه بغيرها لا يستطيع تحقيق آماله فيها.

(١٤٢) مجيى حامد هدام، وآخرون. أساسيات الصحة المدرسية. القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٤م، ص ٩.

(١٤٣) عبدالرزاق الشهرستاني. أسس الصحة الحية. العراق، مطبعة الأدب، ١٩٧١م، ص ٢٩٧ - ٢٩٨.

وبالمقابل فضّعف القدرة الجسدية يؤدي إلى أضرار عديدة، فهو يؤدي إلى انخفاض القدرة على أداء العمل، والعبادة، والتفكير. . . الخ، وبالجملة فإنه يؤدي إلى انخفاض كافة جوانب الشخصية وتكوينها.

وقد أشاد الإسلام بالقوة الجسدية، واعتبرها من الصفات التي يمتدح بها الإنسان، وقدمها على بعض الفضائل، كما في قوله تعالى: ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ (١٤٤).

وقال رسول الله، ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز» (١٤٥)، وإن كان المراد في الآية الكريمة والحديث الشريف القوة الشخصية، فإن القوة الجسمية من عوامل القوة الشخصية إذ المعتل صحيحاً لا يقوى على أداء الواجبات ومواجهة المشكلات. ونلمح ذلك واضحاً في حديثه، ﷺ، عندما قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» (١٤٦).

٣ - تحقيق نمو الجانب الصحي

ويتم ذلك عن طريق تزويد الفرد بالأغذية اللازمة لنمو جسمه، وقد بين العلم الحديث أنواع تلك الأغذية، وأهمية كل نوع في بناء صحة الإنسان والمتأمل في تعاليم الإسلام وقواعده العامة في الطعام والشراب، يجد أنه أحل ما فيه نفع للناس، وحرّم ما كان فيه ضرر، أو خبث طعمه أو ريحه، وقاية لصحتهم، كما في قوله تعالى: ﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾ (١٤٧). وقد أشار القرآن الكريم في أكثر من موطن إلى بعض الأطعمة الضارة.

وبجانب تزويد الفرد بالغذاء اللازم، ينبغي مراعاة التوازن والاعتدال والتنوع في كمية الطعام، وهذا ما ذهب إليه العلم الحديث من أن الأضرار الصحية لا تتوقف عند حد نقص كمية الغذاء فحسب، بل إن الغذاء الفائض يضر بالصحة أيضاً، وقد أشار الإسلام إلى هذه القاعدة الصحية، كما في قول رسول الله، ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه.

(١٤٤) سورة القصص، الآية: ٢٦.

(١٤٥) مسلم. صحيح مسلم. كتاب القدر، بيروت، دار الفكر، د.ت.، ج ٨، ص ٥٦.

(١٤٦) البخاري. صحيح البخاري. مصدر سابق، كتاب الرقاق، ج ٧، ص ١٧٠.

(١٤٧) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

بحسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشربه، وثلث لنفسه» (١٤٨).

كما اهتم الإسلام بإكساب الفرد قواعد النظافة والطهارة في شتى مجالاتها من مأكَل ومشرب وملبس ومسكن والبيئة الخارجية، ولأهمية هذا الجانب في صحة الإنسان وحياته، فقد جعل الرسول ﷺ، النظافة نصف الإيمان إعلاء لشأنها، وتأكيداً لأهميتها، حيث قال ﷺ: «الطهور شطر الإيمان» (١٤٩).

وأخيراً يجب العمل على وقاية الفرد من أسباب الأمراض الجسمية والنفسية وعلاجها، كما ينبغي توعية الفرد وثقيفه بالأمراض الخطيرة، وطريقة الوقاية منها، مثل: مرض فقدان المناعة المكتسبة (الإيدز)، وهو من الأمراض العصرية الحديثة، وقد أدخل الرعب في كثير من الأقطار نظراً لخطورته البالغة. وتوعية الفرد وثقيفه بأضرار المخدرات جسدياً ونفسياً وعقلياً، إضافة إلى أضرارها الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية، لأنها أصبحت من أكثر المشكلات التي تواجه العالم، والذي يزيد الأمر تعقيداً انتشارها واستخدامها بصورة خفية أو ظاهرة، وتنوع أشكالها وألوانها وتركيباتها ومسمياتها. كما ينبغي توجيه الفرد إلى مزاولة التمرينات الجسدية في ضوء القيم الإسلامية، وتوجيهه أيضاً إلى مجالات استخدام الصحة حسب القيم الإسلامية.

خلاصة البحث

من خلال الدراسة السابقة يمكن حصر أهم الأفكار التي تمت مناقشتها في البحث في النقاط الآتية:

- ١ - أوضحت هذه الدراسة أن أهم الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم هي: الجانب الإيماني، والجانب الروحي، والجانب العقلي، والجانب الأخلاقي، والجانب الاجتماعي، والجانب النفسي، والجانب الصحي. وعلى الرغم من أن هذه الجوانب هي

(١٤٨) محمد ناصر الدين الألباني. صحيح الجامع الصغير وزيادته. مصدر سابق، رقم الحديث

(٥٥٥٠)، ج ٥، ص ١٥٥.

(١٤٩) مسلم. صحيح مسلم. مصدر سابق، كتاب الطهارة، ج ١، ص ١٤٠.

الجوانب الأساسية لمكونات الشخصية المسلمة، إلا أنه في الوقت نفسه يمكن أن يشمل كل جانب عددًا من الجوانب الفرعية.

٢ - إن هذه الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم، وإن كانت تشترك مع غيرها من مكونات الشخصية الأخرى في سمات وملامح مشتركة، إلا أنها أيضًا تختلف عما سواها، فقد تتفق معها في الشكل ولكنها تختلف عنها في المضمون. فإذا أخذنا الجانب الأخلاقي على سبيل المثال، فإننا نجد أن مفهوم الأخلاق في الإسلام يختلف عن مفهوم الأخلاق لدى الفلسفات الأخرى، وما يُقال عن هذا الجانب يمكن أن يُقال عن بقية الجوانب الأخرى.

٣ - إن نمو أي جانب من الجوانب التي توصلت إليها الدراسة لا يتم بمعزل عن الجوانب الأخرى، بل هو متداخل معها، ومرتبطة بها ارتباطًا وثيقًا، ويؤثر فيها ويتأثر بها، وأن أي انخفاض في أحدها يؤدي إلى انخفاض مختلف جوانب الشخصية وتكوينها.

٤ - إن أي جانب من الجوانب التي توصلت إليها الدراسة مفطور عليه الإنسان، أي إن الإنسان يولد وهو مزود باستعداد أو نزعة تدفع به إلى تحقيق ذلك الجانب، وهذا الاستعداد أو هذه النزعة تنمو شيئًا فشيئًا على طريق الهداية والصلاح، أو على طريق الضلالة والانحراف، وذلك حسب ما يتلقاه الفرد من تربية وتوجيه خارجي؛ أي إنها لا تنمو بمفردها بل هي بحاجة إلى معونة خارجية.

٥ - إن كل جانب من الجوانب التي توصلت إليها الدراسة لها أساليبها وطرقها التربوية الخاصة حيال توجيهها وتنميتها ورعايتها في ضوء تعاليم الإسلام.

توصيات البحث

في ضوء هذه الدراسة يوصي الباحث بما يلي:

١ - على المؤسسات التعليمية جميعها أن تهتم بتربية الناشيء تربية شاملة لجميع جوانب الشخصية الإيمانية والروحية والعقلية والأخلاقية والاجتماعية والنفسية والصحية، وأن تنظر إلى شخصية الناشيء على أنها وحدة متكاملة، حيث يرى الباحث أن معظم مؤسساتنا التعليمية لم تعط كل جانب من جوانب الشخصية ما يستحقه من التوجيه والتربية، وبدرجة متساوية من الأهمية. فنجدتها تهتم بالجانب العقلي أكثر من أي جانب آخر، وقد تنمي ذلك الجانب على حساب الجوانب الأخرى، وقد لا تكون تربية ذلك

الجانب على الوجه السليم، إذ أنها تهتم بدرجة كبيرة بنقل المعارف والمعلومات التي يحويها الكتاب المدرسي إلى أذهان التلاميذ، وهذا الأسلوب أدى إلى جعل الأعداد الهائلة التي خرجتها مؤسساتنا التعليمية ذات شخصية ناقصة، لا تلي طموحات الأمة الإسلامية وآمالها، وستظل المشكلة قائمة طالما بقيت المؤسسات التعليمية على هذه الحالة.

٢ - على مؤسسات إعداد المعلمين أن تزود خريجها بالأساليب والمهارات التي تساعد في تحقيق نمو الجوانب المكونة للشخصية من منظور إسلامي، وأن تكون تلك المهارات والأساليب قابلة للتطبيق.

٣ - إن موضوع هذه الدراسة لم يهدف إلى معالجة وتوضيح كافة المهارات والأساليب التي ينبغي على المربي المسلم اتباعها في تنمية جوانب الشخصية، ولذلك فإن هذا الموضوع بحاجة إلى دراسة متخصصة تناول كل جانب من جوانب الشخصية على حدة، وتحدد فيه الأساليب والمهارات اللازمة لتنميته، وكذلك تحدد بعض الجوانب الفرعية لتكوينه.

وفي الختام أرجو من العلي القدير أن نرى النماذج من شخصيات أسلافنا الأوائل من بين خريجي مؤسساتنا التعليمية، والحمد لله رب العالمين.

مصادر البحث

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - البخاري. صحيح البخاري. تركيا، استنبول: المكتبة الإسلامية، ١٩٨١م.
- ٣ - ابن تيمية. مجموع فتاوي أحمد بن تيمية. إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.
- ٤ - جارالله القاسم الزخشري. أساس البلاغة. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٥هـ.
- ٥ - جان جاك روسو. إميل. (ترجمة نظمي لوقا)، القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٥٨م.
- ٦ - جميل صليبا. المعجم الفلسفي. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٣م.
- ٧ - حامد عبدالسلام زهران. علم نفس النمو. ط٤، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٧م.
- ٨ - ابن حجر العسقلاني. فتح الباري. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، د. ت.
- ٩ - ابن حنبل. مسند الإمام أحمد بن حنبل. بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، د. ت.
- ١٠ - ابن خلدون. مقدمة ابن خلدون. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، د. ت.
- ١١ - ديول بولبد فان دالين. منهج البحث في التربية وعلم النفس. (ترجمة محمد نوفل) القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٧م.

- ١٢- سعيد حوى. تربيتنا الروحية. بيروت: دار الكتب العربية، ١٣٩٩هـ.
- ١٣- سيد محمد غنيم. سيكولوجية الشخصية. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٨م.
- ١٤- صالح عبدالعزيز. التربية وطرق التدريس. ط٧، القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٣٩١هـ.
- ١٥- عباس محمود العقاد. الله، كتاب في نشأة العقيدة. ط٣، القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٦٠م.
- ١٦- عباس محمود العقاد. الفلسفة القرآنية. ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م.
- ١٧- عبد الرحمن النحلاوي. أصول التربية الإسلامية وأساليبها. دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
- ١٨- عبد الكريم العثمان. الدراسات النفسية عند المسلمين. ط٢، القاهرة: دار غريب للطباعة، ١٤٠١هـ.
- ١٩- عمر الشيباني. تطور النظريات والأفكار التربوية. ط٢، ليبيا: الدار العربية للكتاب، ١٣٩٧هـ.
- ٢٠- الإمام الغزالي. إحياء علوم الدين. القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٣٩م.
- ٢١- الفخر الرازي. التفسير الكبير. القاهرة: المطبعة البهية المصرية، ١٩٣٣م.
- ٢٢- ابن القيم. الروح. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٩هـ.
- ٢٣- ابن القيم. تهذيب مدارج السالكين. ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ.
- ٢٤- كانت. كتاب التربية. (ترجمة طنطاوي جوهري)، القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٥٥هـ.
- ٢٥- مجموعة من العلماء، الله يتجلى في عصر العلم. (ترجمة الدمرداش سرحان)، ط٢، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٧١م.
- ٢٦- محمد أمين المصري. لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغايتها. ط٤، القاهرة: دار الفكر، ١٣٩٨هـ.
- ٢٧- محمد عبدالله دراز. دستور الأخلاق في القرآن. (تعريب عبدالصبور شاهين)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ.
- ٢٨- محمد قطب. منهج التربية الإسلامية. ط٤، القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٠هـ.
- ٢٩- محمد قطب. دراسات في النفس الإنسانية. ط٥، القاهرة: دار الشروق، ١٤٠١هـ.
- ٣٠- محمد ناصر الدين الألباني. صحيح الجامع الصغير وزيادته. ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٧٩م.
- ٣١- ابن مسكويه. تهذيب الأخلاق. بيروت: مكتبة الحياة، د.ت.
- ٣٢- مسلم. صحيح مسلم. القاهرة: المطبعة المصرية، ١٣٤٩هـ.
- ٣٣- مصطفى فهمي. الصحة النفسية. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧٦م.
- ٣٤- مصطفى فهمي. الدوافع النفسية. القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٧٦م.
- ٣٥- مقدار يالجن. التربية الأخلاقية الإسلامية. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٩٧هـ.

- ٣٦- مقداد يالجن. جوانب التربية الإسلامية الأساسية. بيروت: مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ.
- ٣٧- وليم مكدوجل. الأخلاق والسلوك في الحياة. (ترجمة جبران إبراهيم)، القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٦١م.
- ٣٨- يحيى حامد هدام، وآخرون. أساسيات الصحة المدرسية. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٤م.